

تأثير شعراء المغرب والأندلس

في شعر عبد المجيد فرغلي - دراسة تحليلية-

*Influence of poets of Morocco and Andalusia in poetry**Abdul Majeed Farghaly - An Analytical Study -*

د. محمد الأمين بركات

جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)

barkatmohy@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/04/01

تاريخ القبول: 2019/01/12

تاريخ الإرسال: 2018/12/14

ملخص المقال:

يتناول هذا البحث بعض جوانب التأثير بين المشرق والمغرب في الشعر من خلال التفاعل الذي نلّفه في نصوص عبد المجيد فرغلي التي تُبين عن حبه الجَمّ لأدب الآخر، إذ تطرقنا إلى معارضات الشاعر لشعراء المغرب والأندلس، كونها شكلاً من أشكال التأثير والتأثير بين الشعراء وفق قراءة تحليلية جمالية. الكلمات المفتاحية: التأثير؛ فرغلي؛ المغرب؛ الأندلس؛ دراسة تحليلية.

ABSTRACT :

This research deals with some aspects of the influence between the East and the Maghreb in poetry through the interaction found in the texts of Abdel Majid Farghali, which shows his love for the other literature as we touched on the poet's objections to the poets of Morocco and Andalusia as a form of mutual influence among poets according to aesthetic readings.

Keywords: Farghali; mutual influence; the poets; Morocco ; Andalusia.

نص المقال:

تمهيد:

يعد الشعر الأندلسي جزءاً مهماً من الشعر العربي، وما نلّفه من تشابه بينه وبين نظيره المشرقي مردّه العلاقات الثقافية التي سادت بين الأندلس والمشرق في وقت مضى، فالتأثير المشرقي لا يخفى على ذي بصر قارئ لأشعار الأندلسيين؛ إذ يرى فيها الروح المشرقية واضحة، وذلك في بدايات تأسيس الدولة الأندلسية، ثم ما فتئ الوضع على حاله إذ بدأت الاستقلالية عندما استوى عود الثقافة في الأندلس وكثرت الينابيع الثقافية بين علماء ومفكرين، ومكتبات، وبلاطات أدبية، ورحلات أدبية¹

لقد دار الزمان وأضحت الأندلس معينا خصبا لشعراء العصر المعاصر يستلهمون مآثرها ويستدعون شعراءها وأعلامها، ولأن النص الأندلسي كتاب مفتوح تقرأ فيه حال الأندلس في بيئتها وظروفها الأدبية، والسياسية، والاجتماعية والفكرية والعقلية²..

وفي دراستي هذه ستكون حول تأثير شعراء المغرب والأندلس في نصوص عبد المجيد فرغلي الذي يظهر ولعه بالأدب الأندلسي، وهو يستعرض سيرته الأدبية بقوله " وقرأتُ لجميع شعراء العربية في عصورها المختلفة

كابن سناء الملك، وابن المعتز والهاء زهير...) بما في ذلك عصر الفردوس المفقود، وما يؤكد حب الشاعر لهذا العصر وأهله؛ معارضاته الشعرية لجملة من شعرائه من بينهم: ابن حمديس³، والخليفة المعتضد، أبو بكر بن عمار الأندلسي⁴، ابن اللبانة، ابن زيدون⁵، ابن الخطيب الغرناطي، ابن خلدون⁶

دواعي المعارضة:

لقد أرجع بعض الدارسين للمعارضات أن دواعي هذا الفن يرجع إلى نزعتين أساسيتين هما:

1- نزعة الإعجاب والتقليد

2- نزعة التفوق والإبداع⁷

ونضيف أمراً ثالثاً يتعلق بشاعرنا فرغلي ألا وهو سعة اطلاعه مما جعله يلهم بكثير من الشعراء وسيهم وأخبارهم، وهذا يتجلى في دواوينه الشعرية من بينها "دموع وأنداء" الذي حفل ببعض المعارضات التي سنتطرق إليها.

1- معارضته لابن الخطيب الأندلسي (ت776)

إنَّ القارئ لقصيدة فرغلي التي عنوانها ب "تلك أندلس" في ديوانه دموع وأنداء التي مطلعها⁸:

زَهْرُ تَفْتَحَ مِنْ غَصُونِ الطَّيِّبِ *** بَابِنِ الْخَطِيبِ بِنَبْعِهِ الْمُسْكُوبِ

يجده قد نفى عن نفسه التقليد بقوله⁹:

مَا كُنْتُ فِي وَصْفِي لَهَا بِمَقْلِدٍ *** أَوْ نَاقِلٍ مِنْهَا بِمَجْهَرِ حَوْبٍ

وهو بذلك يعارض قصيدة ابن الخطيب التي مدح بها السلطان أبي عنان استملها ب¹⁰:

أَبْدَى لِدَاعِي الْفُوزِ وَجْهَ مُنِيبٍ *** وَأَفَاقَ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَأْنِيْبٍ

لقد اتفقت قصيدة فرغلي مع قصيدة ابن الخطيب من ناحية الوزن والقافية وحركة حرف الروي، وجاءت القصيدتان على بحر الكامل، إلا أن فرغلي بالغ في طول القصيدة ليتفوق على ابن الخطيب، حيث إن عدد أبيات "تلك أندلس" مئة وخمسون بيتاً في حين كان عدد أبيات قصيدة ابن الخطيب مئة وبيت.

وشاعرنا لا يخفي إعجابه بقصيدة ابن الخطيب التي كانت في نظره لوحةً سحرية¹¹:

هِيَ لَوْحَةٌ فَنِيَّةٌ فِي سِحْرِهَا *** وَجَمَالُ مَضْمُونٍ وَوَاحَةٍ طَيِّبٍ

جَالُ الْخَطِيبِ بِهَا أَوْ ابْنِ خَطِيبِهِ *** بِلِسَانٍ دِينَ فِيهِ فِكْرُ خَطِيبٍ

بل ويتعدى إلى أبلغ من ذلك إذ يصفه بأنه متنبى عصره¹²:

مُتَنَبِّ هُوَ فِي ثِيَابٍ قَرِيحَةٍ *** قَدَحَتْ وَرَاءَ الْغَيْبِ زُنْدَ غُيُوبٍ

وهو يوافق ابن الخطيب بقوله¹³

مُتَنَبِّ أَنَا فِي حُلَا تِلْكَ الْعُلَى *** لَكِنَّ شِعْرِي فَيْكَ، شِعْرُ حَبِيبٍ

ثم نجد شاعرنا ينحرف عن أصل المعارضة ليقوم بعرض الحوادث التي تعرض لها ابن الخطيب كغدر ابن

زمرك تلميذه بالأمس¹⁴:

غَدَرَ ابْنُ زَمْرِكَ بِالْخَطِيبِ وَمَسَّهُ *** فِي مَذْهَبٍ مِنْهُ بَكْلٌ ذَنُوبٍ

سَلَّ الحُسَامَ بِهِ عَلَى أَسْتَاذِهِ *** أَرَأَيْتَ غَدْرًا مِثْلَ ذَاكَ بِحُوبِ

ثمَّ يتطرق معجبا معيّدا كتب ابن الخطيب التي ذاع صيتها وانتشرت بين الناس ككتاب "روضة الحب الشريف" الذي كان سبب تحامل الحساد على ابن الخطيب أدى ذلك إلى قتله ، وكذلك ذكر ديوانه "الصيّب والجهام والماضي والكهام"¹⁵ وكتاب ريحانة الكتاب ونجعة المُنْتَاب "خطرة الطيّف"¹⁶ نُفاضة الجراب في غلالة الاغتراب" و"اللُمحة البدرية في الدولة النصرية"¹⁷

ويمكننا أن نستشف مما سبق أن معارضة فرغلي تمثل امتداد الماضي العتيق في الحاضر المتجدد، وتحقيق جزءاً من اتصال الشعر المصري المعاصر بنظيره الأندلسي، وتضفي على الشعر صفة الديمومة والتجدد وهي استعادة واستيحاء لجزء من التراث الشعري ، بهدف الحفاظ عليه وعلى مقوماته، والاتكاء عليه لبناء ص شعري جديد متميّز في شكله ومضمونه ..¹⁸

2- معارضته لابن حمديس الصقلي (ت527هـ)

من بين الشعراء الذين تأثر بهم شاعرنا الشاعر الأندلسي عبد الجبار الصقلي الذي نظر إليه نظرة معاتب لا معجب لهذا نجد أن معارضته جاءت على شكل مناقضة لأبيات ابن حمديس التي يدّعي فيها حبه لموطنه وحنينه إليها :¹⁹

قَضَتْ فِي الصَّبَا النَّفْسُ أَوْطَارَهَا *** وَأَبْلَغَهَا الشَّيْبُ إِندَارَهَا
نَعَمْ وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ الْهَوَى *** عَلِمَا فَقَسَمْنِ أَعْشَارَهَا

ما يدل على أن المعارضة جاءت بلهجة عتابية حادة هو عنوان القصيدة الموسوم ب: "الهاريون من أرضهم ليسوا ثواراً" وهو يشير إلى خروج ابن حمديس من صقلية ولم يمكث للدفاع عنها مستميتاً لوطنه كعادة الثوار وكان مطلعها :²⁰

أَهَاجَتْ مَعَ الشَّوْقِ تَذَكَارَهَا *** فَذَكَّرَنِي الشَّوْقُ أَخْبَارَهَا

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أنهما على وزن واحد وقافية موحدة ، وكذا حركة الروي ، إلا أن طريقة التناول تختلف فيبدأ ابن حمديس متغنيا بلهوه ، ومجونه في صباه في أرض صقلية :²¹

وَفَتَيَانِ صَدَقِ كَزْهُرِ النُّجُومِ *** كِرَامِ النِّحَازِ أَحْرَارَهَا
يُدِيرُونَ رَاحًا تُفِيضُ الْكُؤُوسُ *** عَلَى ظَلَمِ اللَّيْلِ أَنْوَارَهَا

بينما فرغلي يتناول وصف الطبيعة ويصف حالة المتشوق الباكي لوطنه وحنينه إليه :²²

فَهَاجَ لَهَا الشَّوْقُ مَا أَبْصَرْتُ *** وَقَدْ دَرَّتْ الْعَيْنُ مِدْرَارَهَا
فَمَا شَوْقُ تَارِكِ أَرْضِ الصَّبَا *** يَقِلُّ عَنِ الْمُتَلَطِّي نَارَهَا

ويظهر للدارس للقصيدتين أن فرغلي تفوق على ابن حمديس في عدد أبيات قصيدته التي رُبَّتْ عن مئة وسبعة أبيات (107) بينما لم تتجاوز قصيدة ابن حمديس سبعة وثلاثين (37) بيتا ، يدل على مقدرة شاعرنا وطول نفسه الشعري الذي نلفيه في بعض القصائد إذ يتعدى ثلاثمئة بيت.

وعلى الرغم من أن قصيدة ابن حمديس نظمها تبياناً لحبه لموطنه وحنينه إليه إلا أنه يجحف في ذلك ولا نجد له إلا الستة الأبيات الأخيرة التي يرقُّ لصقلية²³:

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى *** يَهْيَجُ لِلنَّفْسِ نَذَارَهَا

في حين أن فرغلي كل قصيدته تتحدث عن صقلية وأخبارها وما ألمَّ بها أيام ابن حمديس ، وكأنه صقليُّ الهوى ، أندلسيُّ النسب ، لكن لما نعلم عمق انتمائه لعروبته ولإسلامه ومواقفه الملتزمة تجاه القضايا القومية ندرك حجم العتاب الذي يلقيه على عاتق ابن حمديس ويغلظ له القول²⁴:

وما لابن حمديس من حُجَّةٍ *** وَلَا كَانَ رَبُّكَ غَفَّارَهَا

أَيَغْفِرُ ذَنْبًا مُسْتَهْتَرٍ *** يَحْمِلُ لِلنَّفْسِ أَوْزَارَهَا

وَيَهْرُبُ مِنْ أَرْضِهِ خَائِفًا *** عَدُوًّا تَخَلَّلَ أَغْوَارَهَا

وهو بهذا ينقض قول ابن حمديس ويفنِّده القائل²⁵:

فَلَا تَعْظَمَنَّ لَدَيْكَ الذُّنُوبُ *** فَمَا زَالَ رَبُّكَ غَفَّارَهَا

ثم نرى شاعرنا يطلق في ختام معارضته حكماً بليغة يوجِّهها للشعراء وهي قضية كبرى في عصرنا ألا وهي قضية التزام الشاعر بقضايا وطنه وأنَّ الشعر مسؤولية ملقاة على عاتق الشعراء يقول²⁶:

وَمَا شَاعِرٌ تَارِكُ أَرْضِهِ *** يُحَقِّقُ لِلأَرْضِ أَوْطَارَهَا

لَهُ أَنْ يَظَلَّ عَلَى أَرْضِهِ *** وَيَرْفَعَ بِالسَّيْفِ مِقْدَارَهَا

فَكَلِمَتُهُ مِدْفَعُ قَاتِلٍ *** إِذَا أَحْكَمَ الْمِرَّةَ إِصْدَارَهَا

ولشاعرنا قصيدة أخرى حول ابن حمديس يسمُّها بـ "ابن حمديس يخرج من الجنة"²⁷ ، جاءت في حدود الواحد وستين بيتاً إذ وفَّق في وصفه بأن الأندلس جنة ، وأبى ابن حمديس إلا أن يخرج منها كما خرج آدم عليه السلام من الجنة بسبب ذنبه ، وفيها يصفه بالمنافق الذي لا حقَّ له في شيء فيقول²⁸:

حَيْنُكَ يَا ابْنَ حَمْدِيْسٍ نَفَاقٌ *** وَمَا لِمُنَافِقٍ وَطَنًا حَقُوقُ

كَأَدَمٍ إِذْ عَصَى وَنَفَاهُ عَنْهَا *** خَرُوجُ جَنَّةِ الْمَأْوَى نُعِيقُ

لقد استطاع الشاعر أن يُبين عن مقدرته الشعرية من تطويع الحدث ، والتحكم في الألفاظ بسلاسة مستعينا بثقافته الواسعة التي جالت في رحاب التاريخ ؛ تنير بعض جوانب ابن حمديس يُنصفه تارة ويغلظ عليه تارات أخر مستهجنًا منه فزاره من جنان الأندلس ورياضها إلى إفريقية وخرابها من قبَلِ قبائل بنو هلال وسُليم.

3- معارضته لابن خلدون (ت 808هـ)

لا غرو أن نجد شاعرنا يعجب أيما إعجاب بشخصية عظيمة كابن خلدون نابغة عصره دون نزاع إذ قُدِّر له أن يقود النهضة الأدبية في عصورنا المتأخرة ، ليصبح في رحاب التاريخ الأدبي والفكري نابغة العصور³⁰ ، ويظهر شغف الشاعر بابن خلدون في مستهل معارضته التي جاءت بعنوان "لقاء مع ابن خلدون"³¹

شَطَّ النَّوَى وَالْهَوَى الْعُدْرِي مِنْ دُونِي *** أَجِيلٌ مَا بَيْنَ شَوْقِي وَابْنِ خَلْدُونِ

سَرَى الْخَيَالُ فَأَذْنَانِي وَأُبْعِدَنِي *** بُعَدَ الْمَدَى مِنْ زَمَانِي وَانْتَهَى دُونِي
لِكِنَّمَا رُوحُهُ قَدْ رَفَرَفَتْ شَغَفًا *** بِالْحَبِّ وَالْقُرْبِ يَعْدُوهُ وَيَعْدُونِي

حيث تعدّ معارضة الشاعر لقصيدة ابن خلدون ترجمة له إذ بلغ عدد أبياتها مئتان وسبع وعشرون بيتا (227) يستهلها بذكر نسبه معرضا حبه له :³²

فَمَنْ يَصِلُنِي بِقُرْبٍ أَوْ بِعَاطِفَةٍ *** بَيْنَ الْمُحِبِّينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ طِينٍ
فَطِينُهُ قُرْبٌ سَوَفَ يَجْمَعُنَا *** بِرَابِطِ الْحُبِّ أَفْديهِ وَيَفْديني

أما عن القصيدة المعارضة فجاءت في كتابه العبر في واحد وثلاثين بيتا ، بينما يثبت ابن الخطيب أربعة وثلاثين بيتا ومطلعها :³³

حَيِّ الْمَعَاهِدِ قَبْلُ كَانَتْ تُحْيِينِي *** بَوَاكِفِ الدَّمْعِ يَرُومِهَا وَيُظْمِينِي

كان موضوعها مدح السلطان أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ، وقد اتفقت القصيدتان في القافية والوزن والروي ، حيث يمتزج صوت فرغلي مع صوت ابن خلدون في نونية شجية سهلة ألفاظها بسيطة التراكيب ، وما زاد من قوة التلاحم بين القصيدتين هو تضمين فرغلي لبعض أبيات ابن خلدون كقوله :³⁴

مَنْ مَبْلُغُ عَنِّي الصَّحْبِ الْأَلَى تَرْكُوا *** وَدَيَّ وَضَاعَ حِمَاهُمْ إِذْ أَضَاعُونِي
أَتَى أَوَيْتُ مِنَ الْعُلَايَا إِلَى حَرَمٍ *** كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرِ تُحْيِينِي
وَإِنِّي ظَاعِنٌ لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ *** دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصَمًا يُشَاكِينِي

ويذكر لنا شاعرنا مشاهد مغربية ، وأندلسية متأثرا بفقدانها متحسرا عليها : مثل قشتالة و طليطلة³⁵ وغرناطة وألمرية³⁶ ، ويستحضر الأماكن التي حوت أو مرّ عليها ابن خلدون مثل: تونس³⁷ المغرب و تلمسان وبسكرة وبجاية³⁸ ، ويستدعي شخصيات متعددة شهدتها الأندلس وعدوة المغرب مثل : يوسف بن تاشفين ، والمعتمد ابن عباد³⁹

وفي ختام معارضته يصرّح شاعرنا أنها جاءت ملحمةً لطولها :⁴⁰

وَتِلْكَ تَرْجَمَةٌ فِي شَكْلِ مَلْحَمَةٍ *** أَهْدِي ابْنَ خَلْدُونَ مِنْ نَفْحِ الرِّيحِ
وَذَاكَ وَحْيُ قِرَائِي مَوْلَاهُ *** مِنْهَا مُقَدِّمَةٌ خُصَّتْ بِتَقْنِينِ

والشاعر فرغلي لا يتوقف عند هذا الحد من إعجابه وحُبّه لابن خلدون فنراه ينظم ملحمة تفوق هذه القصيدة فبلغت أبياتها (345) بيتا غاص فيها وأبحر متخذاً "رحلته في أعماق ابن خلدون"⁴¹ ، ولا عجب في هذا التأثير الكبير الذي تركه ابن خلدون في نفس شاعرنا إذا علمنا أن أول طبعة لكتاب المقدمة الذي حوى قصائد ابن خلدون بمصر سنة (1857 م) ، إذ كانت الأذهان حينها متطلعة إلى عهد جديد تلوح تباشيره في الأفق⁴¹ امتد أزمننا بعده إلى عصرنا هذا والناس مازالت عاكفة على آثار ابن خلدون الأدبية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن أن نستخلص أهم النتائج:

- أبانت معارضات فرغلي عن حبه العميق للأدب المغربي والأندلسي.
- تنمّ معارضاته عن اطلاعه الواسع لأعلام الشعراء وشعرهم وأخبارهم وسيّرهم.
- تتفق معارضاته مع الشعراء الذين عارضهم من ناحية الوزن والقافية والروي وتختلف أحياناً في الموضوع.
- تفوّق فرغلي واضح من خلال طول نفسه الشعري إذ فاق معارضيه في ذلك.
- يعجب فرغلي بشكل شديد بالعلامة ابن خلدون ، ويجعله مثالا يحتذى به في علمه وإلمامه بالمعارف.
- تظهر موسوعية فرغلي من خلال شعره ومعارضاته بصفة خاصة.

هوامش البحث:

- 1- عبد الله بن علي ثقفان، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي (أنموذج فريد، محاولة لاستقراء بعض النصوص التاريخية الأدبية)، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد 11، 1994، ص 51.
- 2- عبد الرزاق حسين، الأندلس في الشعر العربي المعاصر دراسة، مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط 2004، ص 9.
- 3- سيرة ومسيرة، عماد عبد المجيد فرغلي، مؤسسة يسطرون، مصر، ط 4، 2017، ص 39.
- 4- المرجع نفسه : ص 40.
- 5- المرجع نفسه : ص 41.
- 6- المرجع نفسه : ص 42.
- 7- يوسف طركي سلوم البخاري، المعارضات في الشعر الأندلسي – دراسة نقدية موازنة - دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2008، ص 63.
- 8- عبد المجيد فرغلي، دموع وأنداء، تحقيق عماد عبد المجيد فرغلي، مؤسسة يسطرون، مصر، ط 2017، ص 362.
- 9- المصدر نفسه : ص 324.
- 10- ابن الخطيب، الديوان ، تحقيق محمد مفتاح، دار الثقافة ، المغرب، ط 2، 2007، ج 1، ص 128.
- 11- عبد المجيد فرغلي، دموع وأنداء، 365.
- 12- المصدر نفسه : ص 365.
- 13- ابن الخطيب، الديوان، ج 1، ص 133.
- 14- عبد المجيد فرغلي، دموع وأنداء، ص 366.
- 15- المصدر نفسه : ص 366.
- 16- المصدر نفسه : ص 367.
- 17- المصدر نفسه : ص 368.
- 18- ياسين إبراهيم منصور، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص 105.
- 19- ابن حمديس، الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت ط)، ص 180. عبد المجيد فرغلي، دموع وأنداء، ص 348.
- 20- عبد المجيد فرغلي ، دموع وأنداء، ص 348.

- 21- ابن حمديس ، الديوان ، ص 181.
- 22- عبدالمجيد فرغلي، دموع وأنداء ، ص 348.
- 23- ابن حمديس ، الديوان ، ص 181.
- 24- عبدالمجيد فرغلي، دموع وأنداء ، ص 353.
- 25- ابن حمديس ، الديوان ، ص 183.
- 26- عبدالمجيد فرغلي، دموع وأنداء ، ص 353.
- 27- المصدر نفسه : 354.
- 28- المصدر نفسه : ص 357.
- 29- ينظر: محمد رجب البيومي ، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير، دار الثقافة ، الرياض ، السعودية ، ط 1980، ص 209
- 30- عبدالمجيد فرغلي، دموع وأنداء ، ص 319.
- 31- المصدر نفسه : ص 319.
- 32- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (العبر) ، تحقيق أبو صهيبي الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، (د ت ط)، ص 2063.
- 33- عبدالمجيد فرغلي، دموع وأنداء ، ص 327.
- 34- المصدر نفسه : ص 320.
- 35- المصدر نفسه : ص 327.
- 36- المصدر نفسه : ص 321.
- 37- المصدر نفسه : ص 324.
- 38- المصدر نفسه : ص 320.
- 39- المصدر نفسه : ص 330.
- 40- المصدر نفسه : ص 331.
- 41- ينظر: محمد رجب البيومي ، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير، ص 200.